نزار قباني

قصائد مغضوب عليها

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر
ت: ٢٥١٤٢٩٥٥

رقم الإيداع: ١٧٠٨٧ / ٢٠١١

«علينا أن نقول.. وعليكم أن تتقولوا»

الفرزدق

كيف؟

كيف.. يا سادتي.. يغَنِّي المُغَنِّي؟
بعدما خيَّطوا له شفتيْه؟
هل إذا ماتَ شاعرٌ عربيٌّ
يجد اليومَ.. من يصلي عليه؟
لا يبوسُ اليديْن شِعري.. وأحرَى
بالسلاطِين.. أن يبوسوا يديْهِ..

إلى عصفورة سويسرية

أصدقيني.. إن الكتابةَ لعنةٌ
فانجي بنفسِك من جحيمِ زلازلي
فكرتُ أن دفاتري هي ملجأي
وظننتُ أن هواكِ ينهي غربتي
فمررتُ مثلَ الماءِ بينَ أناملي
بشَّرتُ في دين الهوى.. لكنهم
في لحظةٍ.. قتلوا جميعَ بلابلي
لا فرقَ في مدنِ الغبارِ.. صديقتي
ما بين صورةِ شاعرٍ.. ومقاولِ..

***

يا رب.. إن لكلِّ جُرحٍ ساحلا
وأنا جراحاتي بغيرِ سواحلِ..
كلُّ المنافي لا تبددُ وحشتي
ما دام منفايَ الكبيرُ.. بداخلي

جنيف ٣٠/ ١/ ١٩٨٦

على القائمة السوداء

في خانة المهنة من جَوازي
عبارةٌ صغيرةٌ صغيرهْ
تقول:
إني (كاتبٌ وشاعر)
في الحظة الأولى.. اعتقدت أنهاعبارةٌ سحرية
ستفتحُ الأبوابَ في طريقي
وتُسكرُ الضباطَ والعساكرْ..

***

ثم اكتشفت أنها فضيحتي الكبيرهْ
وتهمتي الخطيرهْ..
وأنها السيف الذي يطولُ رأسي
كلما أردت أن أسافرْ...

١٩٨٦/١/٢٣

البوابة

إن رفع السلطانُ سيفَ القهرْ
رميتُ نفسي في دَواةِ الحِبْرْ
أو أمَر السيَّافَ أن يقتلَني
خرجتُ من بوابةٍ سريةٍ
تمرُّ من تحتِ أساسِ القصرْ
هناكَ دومًا مَخْرَجٌ
من بطْشِ فرعونَ.. يُسمَّى الشِّعْرْ...

٢٣/ ١/ ٦٨

لماذا أكتب؟

أكتُبُ..
كيْ أفجِّرَ الأشياءَ، والكتابةُ انفجارْ
أكتبُ..
كي ينتصرَ الضوءُ على العتمةِ،
والقصيدةُ انتصار..
أكتبُ..
كي تقرأني سنابلُ القمح،
وكي تقرأني الأشجارْ
أكتبُ..كي تفهمني الوردةُ، والنجمةُ، والعصفورْ،
والقِطةُ، والأسماكُ، والأصدافُ، والمَحارْ..

* * *

أكتبُ..
حتى أُنقذَ العالَمَ من أضراسِ هُولاكو..
ومن حكمِ الميليشياتْ،
ومن جُنونِ قائدِ العصابةِ
أكتبُ..

حتى أنقذَ النساءَ من أقبية الطُغاةِ
مُن مدائنِ الأمواتِ،
من تعدد الزوجاتِ،
من تشابه الأيامْ،
والصقيعِ والرتابهْ
أكتبُ..
حتى أُنقذَ الكلمةَ من محاكمِ التفتيش..
من شَمْشَمةِ الكلابْ،
من مشانقِ الرقابهْ..

* * *

أكتبُ.. كي أنقذَ من أُحبُّها
من مُدنِ اللاشعرِ، واللاحبِّ، والإحباطِ، والكآبهْ
أكتبُ.. كي أجعلَها رسولةً
أكتبُ.. كي أجعلَها أيقونَةً
أكتبُ.. كي أجعلَها سحابهْ

* * *

لا شيءَ يحمينا من الموت،
سوى المرأةِ.. والكتابهْ...

التلاميذ يعتصمون

في بيت الخليل بن أحمد الفراهيدي

(١)

أرتكبُ القصيدةَ المعاصرهْ
أخرجُ كالعصفورِ من مربَّعاتِ الذاكرهْ
أخرج نحوَ البحرْ
أرتكبُ الخيانةَ العظمى التي
يُقال عنها: الشعرْ
أنتزعُ الأشكالَ من أشكالها
أزعزعُ الأشياءَ من مكانِها
أزرعُ سكيني بصدرِ العَصرْ..
أُمارسُ العشقَ على طريقتي
في الجهرِ، لا في الستر
أفعلُهُ تحتَ المَطرْ
أفعله تحتَ الشجرْ
أفعله على حَجَرْ..

مخترقًا كلَّ الخطوط الحُمرْ..
أرتكبُ الشِّعر.. ولا يهمُّني
إن قيلَ هذا بدْعةٌ
أو قيل هذا كُفرْ
فلا أريدُ العفوَ من خليفةٍ
أو من طويلِ العمرْ
ولستُ أنوي..
حَذْفَ بيتٍ واحدٍ كتبتهُ
إن جاء يومُ الحشرْ..

* * *

أرتكبُ القصيدةَ الكثيرةَ الخطايا
أرتكبُ القصيدةَ العظيمةَ الذنوبْ
أودّع النصَّ الذي أعرفهُ
وأكتب النصَّ الذي يخترعُ الدروبْ..
وأكره الشمسَ التي تطلعُ في موعدِها
وأعشقُ الشمسَ التي تطلع دونَ موعدٍ
من شفةِ المحبوبْ

أُقلِّدُ الشعرَ الذي يكتبه الأطفالْ
وأرسمُ القصيدةَ – الأرنَبِ، والقصيدةَ – الغزالْ
وأرسمُ القصيدةَ – النحلةَ،
والقصيدة – البطَّة،
والقصيدةَ – الطاووسْ،
والقصيدةَ – السنجاب،
والقصيدةَ الزرقاءَ كالهلالْ
وأرسمُ القصيدةَ – الإعصارْ،
والقصيدةَ – الزلزالْ،
أُحولُ الدنيا إلى سؤالْ..

***

أرتكبُ القصيدةَ المغامرهْ
واللغةَ المغامرهْ
والصورَ المغامرهْ
ألهث فوقَ الورقِ الأبيضِ كالمجنونْ
أشربُ ضوءَ القمرِ الطالِع من حدائقِ العيونْ
أدخلُ في رائحةِ النعناعْ،

في كثافة السمَاقْ،
في تجمع المياهِ تحتَ الأرضِ،
في حرائقِ العقيق،
في توجُّع الليمون،
أرتكبَ الموتَ على نَهدين طائشينِ
يجهلان، ما هو القانونْ؟؟

❊ ❊ ❊

أرتكب النبيذَ...
والأريكةَ الخضراءْ..
والدشداشة المصريةَ النُّقوش..
والقُرطَ العراقيَّ الذي
يَسرح كالغزالِ فوقَ عُنقِك الطويل،
والخلخالَ في الساقين..
والعطرَ الخرافي الذي يخترق الأعماقَ كالسكّينْ،
والخَصرَ الذي تحسُبه حقيقةً
ثم إذا تمسَّكت به،
يغيبُ كالظنونْ..



أصرخُ تحتَ المَطرِ الأسود في عينيك..
كالمجنونْ..
أرحلُ من مرافِيء الشعر الذي كانَ
إلى مرافِيء الشعر الذي كان
إلى مرافِيء الشعر الذي يكون..

جنيف ٢٥/ ١ / ٦٨

تقرير سرِّي جداً..
من بلاد (قَمْعِستان)!!

(١)

لم يبقَ فيهم لا أبو بكر.. ولا عُثمانْ
جميعهُم هياكلُ عظميةٌ في متحفِ الزمان
تساقط الفرسانُ عن سروجِهم
وأُعلِنت دويلةُ الخصيان
واعتُقل المُؤذنون في بيوتهم
وأُلغي الأذانْ..جميعهُم.. تضخمتْ أثداؤهم
وأصبحو نسوانْ
جميعهم يأتيهم الحيضُ، ومشغولون بالحمْل
وبالرضاعةِ
جكميعهم قد ذبحوا خيولَهم
وارتهنوا سيوفَهم
وقدموا نساءَهم هدية لقائِد الرومان
ما كان يُدعَى ببلادِ الشام يومًا
صار في الجغرافيا..

يُدعى (يهودستان)..
الله.. يا زمانْ..

(٢)

لم يبق في دفاترِ التاريخ..
لا سيفَ، ولا حصانْ
جميعُهم قد تركوا نعالهم
وهرَّبوا أمولَهم
وخلَّفوا وراءَهم أطفالَهم
وانسحبوا إلى مقاهِي الموتِ والنسيان
جميعهم تخنثوا..
تكحَّلوا..
تعطروا..
تمايلوا أغصانَ خيزُرانْ
حتى تظنَّ خالدًا.. سُوزان
ومريمًا.. مروان
الله.. يا زمانْ..

(٣)

جميعهم موتَى.. ولم يبقَ سوى لبنان
يلبس في كلِّ صباحٍ كفنًا
ويشعلُ الجنوبَ إصرارا وعنفوانْ
جميعهم قد دخلوا جحورَهم
واستمتعوا بالمسكِ، والنساءِ، والريحان
جميعهم مدجَّنٌ، مروَّضٌ، منافقٌ، مزدوجٌ
جبان
ووحدَه لبنان
يصفعُ أمريكا بلا هوادةٍ
ويشعل المياهَ والشطآنَ في حين ألف حاكم مؤمرك
يأخذُها بالصدرِ والأحضان
هل ممكن أن يعتقدَ الإنسانُ صلحًا دائمًا مع الهوان؟
الله.. يا زمانْ..

(٤)

هل تعرفونَ من أنا؟
مواطنٌ يسكن في دولةِ (قمعستان)

وهذه الدولةُ ليست نكتةً مصرية
أو صورةً منقولةً عن كتبِ البديعِ والبيان
فأرض (قمعستان) جاءَ ذكرُها
في معجم البلدان..
وأن من أهم صادراتِها
حقائبا جلديةً
مصنوعةً من جسدِ الإنسان
الله.. يا زمانْ..

(٥)

هل تطلبون نبذةً صغيرةً عن أرض (قمعستان)
تلك التي تمتد من شمال إفريقيا..
إلى بلاد نفطستان
تلك التي تمتدُّ من شواطئ القهر، إلى شواطئ القتل،
إلى شواطئِ السحلِ، إلى شواطئِ الأحزانْ..
وسيفها يمتدُّ بينَ مدخلِ الشريانِ والشريان
ملوكها يُقَرفِصون فوقَ رقبةِ الشعوبِ بالحراسة
ويفقأون عين الأطفالِ بالوراثة

ويكرهون الورقَ الأبيضَ، والمدادَ، والأقلام بالحراسة
وأولُ البنود في دستورِها:
يقضي بأن تلغى غريزةُ الكلامِ في الإنسان
الله.. يا زمان..

(٦)

هل تعرفونَ من أنا؟
مواطنٌ يسكن دولةَ (قمعستان)
مواطن..
يحلمُ في يومٍ من الأيام أن يصبحَ في مرتبة الحيوان
مواطنٌ يخافُ أن يجلسَ في المقهى.. لكي..
لا تطلع الدولة من غياهب الفنتجان
مواطن يخاف أن يقربَ من زوجته
قبيلَ أن تراقبَ المباحثُ المكانْ
مواطنٌ أنا من شعب (قمعستان)
أخاف أن أدخلَ أي مسجد
كي لا يقالَ إني رجل يمارس الإيمانْ
كي لا يقول المخبرُ السري:

إني كنت أتلو سورةَ الرحمن
الله.. يا زمانْ..

(٧)

هل تعرفون الآنَ ما دولة (قمعستان)؟
تلك التي ألفَّها.. لحَّنها..أخرجها الشيطان
هل تعرفون هذه الدويْلةَ العجيبة؟
حيث دخولِ المرءِ للمرحاض يحتاج إلى قرارْ
والشمسُ كي تطلَع تحتاجُ إلى قرار
والديك كي يصيحَ يحتاجُ إلى قرارْ
ورغبة الزوجينِ في الإنجابِ
تحتاج إلى قرارْ
وشَعْرُ من أحبُّ
يمنعه الشرطيُّ أن يطير في الريح
بلا قرارْ..

(٨)

ما أرداً الأحوالِ في دولة (قمعستان)
حيثُ الذكور نسخةٌ عن النساء

حيث النساءُ نسخةٌ عن الذكور
حيث الترابُ يكره البذورْ
وحيثُ كلٍّ طائر يخافُ من بقية الطيور
وصاحبُ القرار يحتاج إلى قرارْ
تلك هي الأحوال في دولة (قمعستان)
الله.. يا زمانْ..

(٩)

يا أصدقائي:
إنني مواطن يسكن في مدينةٍ ليس بها سكان
ليس لها شوارعٌ
ليس لها أرصفةٌ
ليس لها نوافذ
ليس لها جدرانْ
ليس بها جرائدٌ
غير التي تطبعها مطابعُ السلطان..
عنوانُها..
أخاف أن أبوح بالعنوان الذي أعرفه

أن الذي يقوده الحظُّ إلى مدينتي
يرحمه الرحمنْ

(١٠)

يا أصدقائي..
ما هو الشِّعرُ إذا لم يعلنْ العصيان؟
وما هو الشعر إذا لم يُسقطُ الطغاة.. والطغيان؟وما هو الشعر إذا لم يُحدث الزلزال
في الزمان والمكان؟
وما هو الشعر إذا لم يخلْع التاجَ الذي يلبسه
كسرى أنو شروان؟

(١١)

من أجلِ هذا أعلنُ العصيان
باسم الملايين التي تجهل حتى الآن ما هو النهارْ
وما هو الفارقُ بين الغصن والعصفورْ
وما هو الفارقُ بينَ الوردِ والمنثورْ
وما هو الفارقُ بينَ النهدِ والرمانة
وما هو الفارقُ بين البحر والزنزانة

وما هو الفارقُ بين القمر الأخضر والقرنفلة
وبين حدِّ كلمةٍ شجاعة،
وبين حد المقصلةْ..

(١٢)

من أجل هذا أُعلن العصيان
باسم الملايين التي تُساق نحوَ الذبحِ كالقطعان
باسم الذين انتُزعت أجفانُهم
واقتُلعتْ أسنانُهم
وذوِّبوا في حامِض الكبريتِ كالديدان
باسم الذين ما لهم صوتٌ..
ولا رأي..
ولا لسانٌ..سأعلن العصيانْ..

(١٣)

من أجلِ هذا أعلنُ العصيان
باسم الجماهيرِ التي تجلسُ كالأبقار
تحت الشاشةِ الصغيرة

باسم الجماهيرِ التي يسقونها الولاءْ
بالملاعقِ الكبيرةْ
باسم الجماهِير التي تُركَبُ كالبعير
من مشرقِ الشمسِ إلى مغربها
تُركب كالبعيرْ..
وما لها من الحقوقِ غير حقِّ الماءِ والشعيرْ
وما لها من الطموحِ غير أن تأخذ للحلاق
زوجة الأمير
أو ابنة الأمير..
أو كلبة الأمير..
باسم الجماهِير التي تضرعُ لله لكي يديم القائد العظيم
وحزمة البرسيم..

(١٤)

يا أصدقاءَ الشِّعر..
إني شجرُ النار، وإني كاهنُ الأشواق
والناطقُ الرسمي عن خمسين مليونًا من العشاق
على يديَّ ينام أهلُ الحبِّ والحنين

فمرة أجعلُهم حمائمًا
ومرة أجعلهم أشجارَ ياسمينْ
يا أصدقائي..إنني الجرحُ الذي يرفض دومًا
سلطةَ السكين..

(١٥)

يا أصدقائي الرائعينْ..
أنا الشفاهُ للذين ما لهم شفاهْ
أنا العيونُ للذين ما لهم عيونْ
أنا كتابُ البحرِ للذين ليس يقرأون
أنا الكتاباتُ التي يحفرها الدمعُ على عنابرِ السجون
أنا كهذا العصرِ، يا حبيبتي
أواجه الجنونَ بالجنونْ
وأكسرُ الأشياءَ في طفولة
وفي دَمي، رائحةُ الثورةُ والليمونْ..
أنا كما عرفتموني دائمًا
هوايتي أن أكسرَ القانون
أنا كما عرفتموني دائما

أكونُ بالشعر.. وإلا لا أريد أن أكونْ..

(١٦)

يا أصدقائي..
أنتم الشِّعرُ الحقيقي
ولا يهم أن يضحكَ.. أو يعبس..
أو أن يغضبَ السلطانْ..
أنتم سلاطيني..
ومنكم أستمدُّ المجدَ، والقوةَ، والسلطانْ..
قصائدي ممنوعةٌ..
في المدنِ التي تنام فوقَ الملحِ والحجارهْ
قصائدي ممنوعهْ..
لأنها للإنسان عطرُ الحبِّ، والحضارهْ
قصائدي مرفوضهْ..
لأنها لكل بيت تحمل البشارهْ
يا أصدقائي..
إنني ما زلت بانتظاركم
لنوقد الشرارهْ

بيروت ١٥/ ١١/ ١٩٨٤

هجم النفط مثل ذئبٍ علينا..

من بحارِ النزيفِ.. جاء إليكم
حاملا قلبَه على كفيهِ
ساحبًا خنجرَ الفضيحةِ والشعر،
ونارُ التغييرِ في عينيه
نازعا معطفَ العروبةِ عنه
قاتلا، في ضميرِه، أبويه
كافرًا بالنصوصِ، لا تسألوه
كيف مات التاريخُ في مقلتيه
كسرته بيروتُ مثلَ إناء
فأتى ماشيًا على جفنيْه
أين يمضي؟ كلُّ الخرائط ضاعت
أين يأوي؟ لا سقفَ يأوي إليه
ليس في الحيِّ كلّه قرشي
غسل الله من قرْيشٍ يديه

* * *

هجم النفطُ مثل ذئب علينا

فارتمينا قتلى على نعليْه

وقطعنا صلاتَنا.. واقتنعنا
أن المجدَ الغِنَى في خصيتيه

أمريكا تجربُ السوطَ فينا
وتشدُّ الكبيرَ من أذنيه

وتبيعُ الأعرابَ أفلامَ فيديو
وتبيع الكولا إلى سيبويْه

أمريكا ربٌّ.. وألفُ جبانٍ
بيننا راكعٌ على ركبتيه

* * *

من خرابِ الخرابِ.. جاء إليكم
حاملا موتَه على كتفيه

أي شِعر ترى، تريدون منه
والمساميرَ، بعدُ، في معصميه..

يا بلادًا بلا شعوبٍ،، أفيقي
واسحبي المستبدَّ من رجليه

يا بلادًا تستعذب القمعَ.. حتى
صار عقلُ الإنسان في قدميه

كيف يا ساداتي، يغني المُغني
بعدما خيَّطوا له شفتيْه؟

هل إذا مات شاعرٌ عربيٌّ
يجد اليومَ من يصلي عليه؟

❊ ❊ ❊

من شظايا بيروت جاء إليكم
والسكاكينُ مزقتْ رئتيْه

رافعًا راية العدالةِ والحبِّ..
وسيفُ الجلاد يُومي إليه

قد تساوت كلُّ المشانق طولا
وتساوي شكلُ السجونِ لديه

لا يبوس اليدين شِعري.. وأحْرَى
بالسلاطين، أن يبوسوا يديه..

بيروت ١٤/ ١٠/ ٨٤

من يوميات كلب مثقَّف..

مولاي..
لا أريدُ منكَ ياقوتًا.. ولا ذهبْ
ولا أريدُ منك أن تلبسني
الديباجَ والقصب
كل الذي أرجوه أن تسمعني
لأنني أنقَل في قصائدي إليك
جميعَ أصواتِ العرب
جميع لعنات العرب..

❊ ❊ ❊

إن كنت – يا مولاي –
لا تحبُّ الشعرَ والصُّداحْ
فقل لسيَّافَك أن يمنحني
حريةَ النباحْ..

قرص الأسبرين

لا..
ليس هذا وطني الكبير
لا..
ليس هذا الوطنُ المربعُ الخاناتِ كالشطرنجِ..
والقابعُ مثلَ نملةٍ في أسفلِ الخريطة..
هو الذي قال لنا مدرسُ التاريخِ في شبابنا
بأنه موطنُنا الكبير..

❋ ❋ ❋

لا..
ليس هذا الوطنُ المصنوع من عشرين كانتونًا..
ومن عشرين دكانًا..
ومن عشرين صَرافًا..
وحلاقًا..
وشرطيًّا..
وطبالاً.. وراقصةً..
يسمى وطني الكبير..

لا..
ليس هذا الوطنَ المحكومُ من عشرين مجنونًا
ومن عشرين سلطانًا..
ومن عشرين قرصانًا..
ومن عشرين سجَّانًا..
يُسمَّى وطني الكبيرْ..

* * *

لا..
ليس هذا الوطنُ السادي.. والفاشي
والشحاذُ.. والنفطيُّ
والفنانُ.. والأمي
والثوريُّ.. والرجعي
والصوفي.. والجنسي
والشيطانُ.. والنبي
والفقيه، والحكيم، والإمام
هو الذي كان لنا في سالف الأيام

***

لا..
ليس هذا الكائنُ المحكومُ بالإعدام..
والمصابُ بالفصام،
والمجالسُ مثلَ الكلب تحتَ جزمة النظام،
والممنوعُ من حريةِ التعبير

***

لا..
ليس هذا الجسدُ المصلوب
فوقَ حائطِ الأحزانِ كالمسيحْ

***

لا..
ليس هذا الوطنُ الممسوخْ كالصرصارْ،
والضيق كالضريحْ..

***

لا..

ليس هذا وطني الكبير..

* * *

لا..
ليس هذا الأبلهُ المعاقْ.. والمرقَّعُ الثيابْ،
والمجذوبُ، والمغلوب..
والمشغولُ في النحوِ وفي الصرف..
وفي قراءةِ الفنجانِ والتبصير..

* * *

لا..
ليس هذا وطني الكبيرْ..

* * *

لا..
ليس هذا الوطنُ المنكَّس الأعلام..
والغارقُ في مستنقع الكلام،
والحافي على سطحٍ من الكبريتِ والقصدير

* * *

لا..

ليس هذا الرجلُ المنقولُ في سيارة الإسعاف،
والمحفوظُ في ثلاجةِ الأموات،
والمعطَّلُ الإحساسِ والضميرْ

❊ ❊ ❊

لا..
ليس هذا وطني الكبير..

❊ ❊ ❊

لا..
ليس هذا الرجلُ المقهورُ..
والمكسورُ..
والمذعور كالفأرة..
والباحثُ في زجاجةِ الكحول عن مصيرْ

لا..
ليس هذا وطني الكبيرْ..

❊ ❊ ❊

يا وطني..

يا أيها الضائع في الزمانِ، والمكانْ،
والباحثُ في منازلِ العربانْ.
عن سقفٍ، وعن سريرْ
لقد كبرنا.. واكتشفنا لعبةَ التزوير
فالوطن ألمِنْ أجله مات صلاح الدين
يأكله الجائعُ في سهولةٍ
كعلبةِ السردين..
والوطن المِن أجله قد غنتْ الخيول في حِطين
يبلعه الإنسانُ في سهولةٍ..
كقرص أسبرينْ!!

بيروت ٨/ ١/ ٨٥

السمفونية الجنوبية الخامسة

(١)

سميتُكَ الجنوبْ
يا لابسا عباءةَ الحسينْ
وشمسَ كربلاءْ
يا شجرَ الوردِ الذي يحترفُ الفداء
يا ثورةَ الأرضِ التقت بثورة السماء
يا جسدًا يطلعُ من ترابِهِ
قمحٌ.. وأنبياء
اسمح لنا..
بأن نبوسَ السيفَ في يديك
اسمح لنا..
أن نعبدَ الحق الذي يطل من عينيك
يا أيها المغسولُ في دمائِه كالوردةِ الجوريةْ
أنت الذي أعطيتنا شهادةَ الميلاد
ووردةَ الحريةْ ..

(٢)

سميتُك الجنوبْ
يا قمرَ الحزنِ الذي يطلع ليلاً من عيونِ فاطمة..
يا سفنَ الصيدِ التي تحترفُ المقاومة..
يا سمكَ البحرِ الذي يحترفُ المقاومهْ..
يا كُتبَ الشعرِ التي تحترف المقاومهْ..
يا ضفدعَ النهر الذي..
يقرأ طولَ الليل سورة المقاومهْ..
يا ركوة القهوةِ فوقَ الفحم،
يا أم عاشوراءَ..
يا شرابَ ماءِ الزهرِ في صيدا..
ويا مآذنَ الله التي تدعو إلى المقاومهْ..
يا سهراتِ الزجلِ الشعبي..
يا لعلعةَ الرصاصِ في الأعراس..
يا زغردة النساءِ..
يا جرائدَ الحائط..
يا فصائل النملِ التي..

تهربُ السلاحَ للمقاومهْ..

(٣)

سميتك الجنوبْ
يا من يصلي الفجرَ في حقلٍ من الألغام..
لا تنتظر من عربِ اليومِ سوى الكلام...
لا تنتظر منهم سوى رسائلِ الغرام..
لا تلتفت إلى الوراءِ يا سيدنا الإمام
فليس في الوراء غيرُ الجهلِ والظلام..
وليس في الوراءِ غيرُ الطينِ والسخام..
وليس في الوراء إلا مدنُ الطروح والأقزام..
حيث الغني يأكلُ الفقير..
حيث الكبيرُ يأكلُ الصغير..
حيث النظام يأكلُ النظامْ..

(٤)

سميتك الجنوب
سميتُك الشمعَ الذي يُضاء في الكنائسْ
سميتك الحناءَ في أصابعِ العرائسْ



سميتك الشِّعر البطولي الذي..
يحفظه الأطفالُ في المدارسْ
سميتك الأقلامَ، والدفاترَ الورديهْ
سميتك الكتابة السرية..
سميتك الرصاصَ في أزقَّة (النبطيهْ)
سميتك النشور والقيامهْ
سميتك الصيف الذي تحمله
في ريشها الحمامهْ..

(٥)

سميتك الجنوبْ
سميتك المياهَ والسنابلْ
وشتلةَ التبغِ التي تقاتلْ
ونجمةَ الغروب
سميتك الفجرَ الذي ينتظرُ الولادهْ
والجسدَ المشتاقَ للشهادهْ
يا آخرَ المدافعين عن ثُرىَ طرواده
سميتك الثورةَ، والدهشةَ، والتغيير

سميتك النقيَّ، والتقيَّ، والعزيزَ، والقديرْ
سميتك الكبيرَ أيها الكبيرْ..

(٦)

سميتك الجنوبْ..
سميتك النوارسَ البيضاءَ، والزوارق
سميتك الأطفالَ يلعبون بالزنابق
سميتك الرجالَ يسهرون حوَل النارِ والبنادق
سميتك القصيدةَ الزرقاء
سميتك البرقَ الذي بنارِه تشتعل الأشياءْ
ميتك المسدسَ المخبوء في ضفائِر النساءْ
سميتك الموتَى الذين بعد أن يُشيَّعوا..
يأتون للعشاءْ
ويستريحون إلى فراشِهم
ويطمئنون على أطفالِهم
وحين يأتي الفجرُ.. يرجعونَ للسماء..

(٧)

سميتك الجنوبْ

يا أيها الطالعُ مثل العُشبِ من دفاتر الأيام
يا أيها المسافرُ القديمُ فوقَ الشوكِ والآلام
يا أيها المضيءُ كالنجمةِ، والساطعُ كالحُسامْ
لولاك ما زلنا على عبادةِ الأصنام
لولاك كنا نتعاطى علنًا..
حشيشةَ الأحلام
اسمح لنا بأن نبوسَ السيفَ في يديك
اسمح لنا أن نجمعَ الغبارَ عن نعليك
لو لم تجئْ يا سيدي الإمام..
كنا أمامَ القائِد العِبري..
مذبوحين كالأغنامْ..

(٨)

يا سيدَ الأمطارِ والمواسم
يا ثورةً شعبيةً تحمل في أحشائِها التوائم
سميتك الحبَّ الذي يسكنُ في الخواتم
سميتك العطرُ الذي يسكن في البراعم

سميتك السنونو
سميتك الحمائمْ
يا سيدَ الأسيادِ يا ملحمةَ الملاحمْ..

(٩)

البحر نصٌّ أزرق يكتبه عَلِيّ..
ومريمُ تجلس فوَق الرملِ كلَّ ليلة..
تنتظرُ المهدي..
وتقطف الوردَ الذي يطلع من أصابعِ الضحايا..
وزينبُ تخبئُ السلاحَ في قميصها
وتجمعُ الشظايا
وتحملُ السلاحَ للموتى الذين..
يقطنون داخلَ المرايا..

(١٠)

فاطمة تجيءَ من صورٍ، وفي ثيابِها..
رائحةُ النعناع والليمونْ
فاطمةُ تجيءُ وشَعرُها..
يشبه هذا الزمنَ المجنون

فاطمةُ تأتي.. وفي عيونِها..
خيلٌ، وراياتٌ، وثائرون
هل الحروبُ يا تُرى..
تعمِّق السوادَ في العيون؟؟

(١١)

سيذكر التاريخُ يومًا قريةً صغيرة
بين قُرى الجنوبْ..
تُدعى (معركهْ)..
قد دافعتْ بصدرِها
عن شرف الأرضِ، وعن كرامةِ العروبة
وحولها قبائلُ جبانهْ
وأمةٌ مفككهْ

(١٢)

من بحرِ صيدا يبدأُ السؤال
من بحرِها..
يخرجُ آلُ البيتِ كلَّ ليلة..
كأنهم أشجارَ برتقال..

من بحرِ صور..
يطلعَ الخنجرُ، والوردةُ والموال،
ويطلعُ الأبطالْ..

(١٣)

سميتُك الجنوب
سميتُك الأجراسَ والأعياد
وضحكة المِسِّ على مرايلِ الأولاد
يا أيها القديسُ، والشاعرُ، والشهيدْ
يا أيه المسكونُ بالجديد
يا طلقةَ الرصاصِ في جنينِ أهلِ الكهف
ويا نبي العنفْ..
ويا الذي أطلقنا من أسرِنا
ويا الذي حررنا من خوفْ..

(١٤)

يا أيها السيفُ الذي يلمعُ بينَ التبغِ والقصب
يا أيها المُهر الذي يصهلُ في برية الغضبْ
إياك أن تقرأ حرفًا من كتاباتِ العربْ

فحربُهم إشاعهْ..
وسيفُهم خشبْ..
وعشقُهم خيانه..
ووعدهم كَذِبْ..
إياك أن تسمعَ حرفًا من خطاباتِ العربْ
فكلها نحوٌ.. وصرفٌ، وأدبْ
وكلها أضغاثُ أحلام، ووصلاتُ طربْ
لا تستغثْ بمازنٍ، أو وائلٍ، أو تغلبْ..
فلَيس في معاجمِ الأقوامْ..
قوم اسمُهم عربْ!!.

(١٥)

يا سيدي.. يا سيدَ الأحرارْ..
لم يبقَ إلا أنت..
في زمنِ السقوطِ والدمار
في زمنِ التراجعِ الثوري
والتراجعِ القومي
والتراجعِ الفكري

واللصوصِ والتجارْ
في زمنِ الفرار..
الكلماتُ أصبحتْ.. يا سيدي الجنوب
للبيعِ والإيجارْ
والمفرداتُ يشتغلنَ راقصاتْ
في بلادِ النفطِ، والدولارْ..
لم يبق إلا أنت..
تسيرُ فوقَ الشوكِ والزجاج..
والأخوةُ الكرامْ..
نائمون فوقَ البيضِ.. كالدجاجْ
يا سيدي الجنوبْ..
في مدنِ الملح التي يسكنها الطاعونُ والغبارْ
في مدنِ الموتِ التي تخاف أن تزورَها الأمطارْ
لم يبق إلا أنتَ..
تزرعُ في حياتِنا النخيلَ، والأعنابَ، والأقمارْ
لم يبق إلا أنتَ.. إلا أنتَ.. إلا أنتَ..
فافتحْ لنا بوابةَ النهارْ..

بيروت ١٠/ ٣/ ١٩٨٥

آخر عصفور يخرج من غرناطة..

(١)

عيناك.. آخرُ مركبين يسافران
فهل هنالكَ من مكانْ؟
إني تعبتُ من التكسعِ في محطاتِ الجنونْ
وما وصلتُ إلى مكان..
عيناك آخرُ فرصتين متاحتين
لمن يفكرُ بالهروبْ..
وأنا.. أفكرُ بالهروبْ..
عيناكِ آخر ما تبقى من عصافيرِ الجنوبْ
عيناك آخر ما تبقى من نجوم الصيف،
آخر ما تبقى من حشيشِ البحر،
آخر ما تبقى من حقولِ التبغ،
آخر ما تبقى من دموعِ الأقحوانْ،
عيناك.. آخرُ زفةٍ شعبيةٍ تجري
وآخر مهرجانْ..

(٢)

عيناكِ.. آخُر ما تبقى من تراثِ العشق،
آخرُ ما تبقى من مكاتيبِ الغرام
ويداك.. آخرُ دفترين من الحريرْ..
عليهما..
سجلتُ أحلى ما لديَّ من الكلامْ
العشقُ يكويني، كلوحِ التوتياء،
ولا أذوبُ..
والشعرُ يطعنني بخنجرِه..
وأرفض أن أتوبْ..
إني أحبُّك..
يا التي اختزنتْ بعينيْها بحيراتِ الجنوبْ
ظَلِّي معي..
حتى يظلَّ البحرُ محتفظًا بزرقِته
ويبقى الخوخُ محتفظًا بنكهِته،
ويبقى وجهُ فاطمة.. يحلقُ كالحمامةِ تحتَ أضواءِ الغروبْ
ظلي معي.. فلربما يأتي الحسينُ

وفي عباءتِه الحمائمُ، والمباخرُ، والطيورْ
وورءَه تمشي المآذنُ، والرُّبى
وجميع ثوار الجنوب

(٣)

عيناك آخر ساحليْن من البنفسجِ
والعواصفِ مزقتني
فكرتُ أن الشعرَ ينقذني..
ولكن القصائَد أغرقتني..
فكرت أن الحبَّ يمكنُ أن يلملمني..
ولكن النساءَ تقاسمتني..
أحبيبتي..
أعجوبةٌ أن ألتقي امرأةً بهذا الليل،
ترضَى أن ترافقني..
وتغسلني بأمطارِ الحنان
أعجوبةٌ أن يكتبَ الشعراءُ في هذا الزمان..
أعجوبةٌ أن القصيدةَ لا تزال
تمرُّ من بينِ الحرائقِ والدخان

أعجوبةٌ أن القصيدةَ لا تزالْ
تنطُّ من فوقِ الحواجزِ، والمخافِرِ، والهزائم،
كالحصانْ،
أعجوبةٌ.. أنَّ الكتابةَ لا تزال..
برغمِ شمشمةِ الكلاب..
ورغمِ أقبية المباحثْ،
مصدرًا للعنفوانْ..

(٤)

الماءُ في عينيك زيتي..
رُمادي..
نبيذي..
وأشرعتي دموعْ
وأنا على سطح السفينةِ
مثلُ عصفورٍ يتيمْ
لا يفكر بالرجوعْ..
بيروتُ أرملةُ العروبةِ
والحواجزْ.

والطوائفْ،
والجريمةِ، والجنونْ..
بيروت تُذبحِ فِي سريرِ زفافِها
والناس حولَ سريرِها متفرجون
بيروتُ
تنزفُ كالدجاجةِ فِي الطريقْ،
فأين فرَّ العاشقون؟
بيروتَ تبحثُ عن حقيقتها،
وتبحثُ عن قبيلتِها..
وتبحث عن أقاربِها..
ولكنَّ الجميعَ منافقونْ..

(٥)

عيناك.. آخرُ رحلةٍ ليليةٍ..
وحقائبي فِي الأرضِ تنتظرُ الهبوبْ
تتوسلُ الأشجارُ باكيةً لآخذها معي
أرأيتم شجرًا يفكرُ بالهروبْ؟
هذا هو الزمنَ المضرَّجُ بالبشاعهْ،

والفضائح والخيانة، والذنوبْ..
هذا هو الزمنُ الذي فيه الثقافة،
والكتابةْ
والكرامةْ
والرجولةُ عن غروبْ
كيف الدخولُ إلى القصيدةِ يا تُرى؟
ودفاتري ملأى بآلافِ الثقوب..
وقميصي العربيُّ مملوءٌ بالآف الثقوب..
النفطُ يستلقي سعيدًا تحتَ أشجارِ النعاس،
وبين أثداءِ الحريمْ..
هذا الذي قد جاءنا..
بثيابِ شيطانٍ رجيمْ..
النفطُ هذا السائلُ المنوي..
لا القوميّ..
لا العربيّ
لا الشعبيّ
هذا الأرنبُ المهزومُ في كلِّ الحروبْ

النفطُ مشروبُ الأباطرةِ الكبارْ،
وليس مشروبَ الشعوبْ..

(٦)

كيف الدخولُ إلى القصيدة يا ترى؟
والنفطُ يشري
ألف منتجع (بماربيًّا)..
ويشري نصفَ ما في (نيس) من شمسٍ وأجسادْ..
ويشري ألفَ يختٍ في بحارِ الله..
يشري ألفَ امرأةٍ بإذنِ الله..
يشري ألفَ غانيةٍ لعوبْ..
لكنه..
لا يشتري سيفًا لتحريرِ الجنوبْ..

(٧)

عيناك.. آخرُ ما تبقى من شتولِ النخلِ
في وطني الحزينْ..
وهواك أجملُ ثورةٍ بيضاءْ..
تعلن من ملايين السنينْ

كوني معي امرأةً..
يغطي وجهَها وجهُ الصباحْ
كوني معي شعرًا
يسافر دائمًا عكسَ الرياحْ..
كوني معي غجريةً، بدويةً، وحشيةً
كوني معي جنيةً
لا يبلغ العشاق ذروةَ عشِقهم
إلا إذا التحقوا بصفٍّ الغاضبينْ..
أحبيبتي..
إني لأعلن أن ما في الأرضِ من عنبٍ وتينْ
حقٌّ لكلِّ المعدَمين
وبأن كلَّ الشَّعر.. كل النثر..
كلَّ الكحلِ في العينين..
كلَّ اللؤلؤِ المخبوءِ في النهدين..
كلَّ العشبِ، كلَّ الياسمين
حقٌّ لكلِّ الحالمينَ.. كوني معي
ولسوفَ أعُلن أن شمسَ الله،

تشبه في استدارتِها رغيفَ الجائعين
ولسوف أعلنُ دونها حرجٍ
بأن الشِّعْرَ أقوى من جِميعِ الحاكمينْ..

بيروت ٢١/ ١٠/ ١٩٨٤

التأشيرة

(١)

فِي مركزٍ للأمنِ فِي إحدى البلاد الناميهْ
وقفتَ عندَ نقطةِ التفتيش،
ما كان شيءٌ سوى أحزانيهْ
كانت بلادي بعدَ ميلٍ واحدٍ
وكان قلبي فِي ضلوعي راقصًا
كأنه حمامةٌ مشتاقةٌ للساقِيَهْ
كان جوازي بيدي
يحلمُ بالأرضِ التي لعبتُ فِي حقولِها
وأطعمتني قمحَها، ولوزَها، وتينَها
وأرضعتني العافيهْ..

❊ ❊ ❊

وقفتُ فِي الطابورِ..
كان الناسُ يأكلون اللبَّ.. والترمسَ..
كانوا يطرحونَ البولَ مثلَ الماشيه
من عهدِ فرعون.. إلى أيامنا

هناك دومًا حاكمٌ بأمره
وأمةٌ تبولُ فوقَ نفسِها كالماشيةْ

(٢)

في مركزِ للأمنِ في بلاديهْ
وليس في الكونغو.. ولا تنزانيا
الشمسُ كانت تلبسُ الكاكي،
والوردةُ كانت تلبسُ الملابسَ المرقَّطهْ..
كان هناك الخوفُ من أمامِنا..
والخوفُ من ورائِنا..
وضابطٌ مدججٌ بخمسِ نجماتٍ.. وبالكراهيهْ
يجرنا من خلفِه كأننا غنم
من يومِ قابيلَ إلى أيامنا
كان هناك قاتلٌ محترف
وأمةٌ تسلخ مثل الماشية..

(٣)

في مركز العذابِ.. حيثُ الشمسُ لا تدور..

والوقتُ لا يدور..
وحيث لا يبقى من الإنسان غير الليف والقشور
يمتد خطٌ أحمر..
ما بين برلينَيْن،بيروتين،
مكتين، مصحفين، قبلتين،
مذهبين،
لهجتين،
حارتين،
شارتيْ مرورْ..
الرعبُ كان سيدَ الفصولْ
والأرضُ كانت تشحذُ الأمطارَ من أيلول
ونحن كنا نشحذُ الأمرَ الهمايوني بالدخول..
واعجبي..
أكلما استقل شعبٌ من شعوب آسيا
يسوقه أبطالهُ للذبحِ مثل الماشيةْ؟؟

(٤)

أين أنا؟

كلُّ العلامات تقول:
هذه (أعرابِيَا)..
كلُّ الإهانات التي نسمعها
بضاعةٌ قديمة تنتجها (أعرابيا)
كل الدروبِ، كلها
تفضي لسيفِ الطاغيهْ..
أين أنا؟
ما بين كل شارعٍ وشارع
قامت بلدْ..
ما بينَ كلِّ حائطٍ وحائطْ..
قامت بلد..
ما بينَ كلِّ نخلةٍ وظلِّها..
قامت بلدْ..
ما بين كلِّ امرأةٍ وطفلِها..
قامت بلدْ..
يا خالقي: يا راسمَ الأفقِ، ويا مهندسَ السماء
هل ذلك الثقبُ الذي ليس يُري

هو البلد؟؟؟

(٥)

فِي مركزِ الجنون، والصداعِ، والسعالِ، والبلهارسيا
وقفت شهرًا كاملاً
وقفت عاما كاملا
وقفتُ دهرا كاملا
أمامَ أبوابِ زعيمِ المافيا
أشحذُ منه الإذنَ بالمرور..
أشحذُ منه منزلَ الطفولة
والوردِ، والزنبقِ، والأضاليا
أشحذُ منه غرفتي
والحبرَ، والأقلامَ، والطبشور
قلت لنفسي وأنا..
أواجه البنادقَ الروسيةَ المخرطشة
واعجبي.. واعجبي..
هل أصبح الحق زعيم المافيا؟؟

(٦)

في مركز للخوفِ لا اسْم له
لكنه..
ينبتُ مثلَ الفِطر في كلِّ زوايا الباديهْ
وقفت عمرا كاملا
وعندما أصبحت شيخًا طاعنا
ووافقوا على دخولي وطني
عرفت أن الوطنَ الغالي الذي عشقته
ما عادَ في الجغرافيا..
ما عادَ في الجغرافيا..
ما عادَ في الجغرافيا..

جنيف أيار (مايو) ١٩٨٦

لماذا يسقط مُتْعِب بن تْعبان

في امتحانِ حقوقِ الإنسان؟

(١)

مواطنون.. دونها وطنْ
مطاردون كالعصافيرِ على خرائطِ الزمنْ..
مسافرون دونَ أوراقَ
وموتى دونها كفنْ
نحن بغايا العصر.. كلُّ حاكمٍ
يبيعُنا. ويقبضُ الثمنْ!!
نحن جواري القصرِ، يرسلوننا
من حجرةٍ لحجرة
من قبضةٍ لقبضةٍ
من هالكٍ لمالكٍ
من وثنٍ إلى وثنْ
نركض كالكلابِ كلَّ ليلةٍ
من عدنٍ لطنجة
من طنجةٍ إلى عدن

نبحثُ عن قبيلةٍ تقبلنا
نبحثُ عن عائلةٍ تعيلُنا
نبحثُ عن ستارةٍ تسترُنا
وعن سكنْ..
وحولَنا أولادُنا
احدودبتْ ظهورُهم، وشاخوا
وهم يفتشون في المعاجمِ القديمهْ
عن جنةٍ نضيرهْ
عن كذبة كبيرة كبيرهْ..
تُدعَى الوطن..

(٢)

مواطنون نحنُ في مدائنِ البكاءْ
قهوتنا مصنوعة من دم كربلاءْ
حنطتنا معجونةٌ بلحمِ كربلاء
طعامُنا.. شرابنا..
عاداتنا.. رآياتنا
صيامُنا.. صلاتُنا

زهورُنا.. قبورُنا
جلودُنا مختومةٌ بختمِ كربلاء..
لا أحد يعرفُنا في هذَه الصحراءْ
لا نخلةٌ.. لا ناقةٌ
لا وتدٌ.. لا حجرٌ
لا هندُ.. لا عفراءْ
أوراقُنا مريبهْ
أفكارنا غريبهْ
فلا الذين يشربون النفطَ يعرفوننا
ولا الذين يشربون الدمعَ والشقاءْ..

(٣)

معتقلون
داخلَ النصِّ الذي يكتبه حُكامُنا
معتقلون..
داخلَ الدين كما فسره إمامنا
معتقلون..داخل الحزنِ وأحلى ما بنا أحزانُنا
مُراقبون نحن في المقهَى.. وفي البيت..

وفي أرحامِ أمهاتنا.
حيث تلفتَنا،
وجدنا المخبرَ السريَّ في انتظارِنا
يشربُ من قهوتنا..
ينام في فراشِنا..
يعبث في بريدِنا..
ينكشُ في أوراقِنا..
يدخل من أنوفِنا..
يخرج من سعالِنا..
لساننا مقطوعْ..
وخبزنا مبللٌ بالخوفِ والدموعْ..
إذ تظلمنا إلى حِامي الحِمَى..
قيل لنا: ممنوعْ..
وإن تضرعنا إلى ربِّ السما..
قيل لنا: ممنوعْ..
وإن هتفنا..
يا رسولَ الله.. كن في عونِنا..

يعطوننا تأشيرةً من غيرِ ما رجوع
وإن طالبنا قلمًا..
لنكتبَ القصيدةَ الأخيرةَ..
أو نكتبَ الوصيةَ الأخيرةَ..
قبيل أن نموتَ شنقًا..
غيروا الموضوعْ..

(٤)

يا وطني المصلوبَ فوقَ حائطِ الكراهيهْ
يا كُرةَ النار التي تسير نحوَ الهاويهْ
لا أحد من مُضَر.. أو من بني ثقيف
أعطي لهذا الوطنِ الغارقِ بالنزيف
زجاجةً من دمه..
أو بولةَ الشريفْ!!
لا أحدٌ.. على امتدادِ هذه العباءة المُرقَّعهْ..
أهداك يومًا معطفًا أو قبعهْ..
يا وطني المكسورُ مثلَ عُشبة الخريف..
مقتلعون نحن كالأشجارِ من مكانِنا..

مهجَّرون من أمانِينا، وذكرياتِنا
عيونُنا تخافُ من أهدابِنا
شفاهنا تخافُ من أصواتِنا
حُكامنا آلهة يجري الدمَ الأزرق في عروقهم
ونحن نسلُ الجاريهْ..
لا سادةُ الحجازِ يعرفوننا..
ولا رعاعُ الباديهْ..
ولا أبو الطيبِ يستضيفنا..
ولا أبو العتاهيهْ..
إذا ضحكنا لعليٍّ مرةً..
يقتلنا معاويهْ..

(٥)

مهاجرون نحنُ من مرافئ التعب
لا أحدَ يريدنا
من بحرِ بيروت.. إلى بحرِ العربْ..
لا الفاطميون، ولا القرامطهْ..
ولا المماليك، ولا البرامكهْ..

ولا الشياطين، ولا الملائكةْ..
لا أحدَ يريدنا..
في المدنِ التي تقايضُ البترولَ بالنساء
والديارَ بالدولار.. والتراث بالسُّجَّاد..
والتاريخ بالقروشِ، والإنسانَ بالذهبْ..
وشعبها يأكلُ من نشارةِ الخشب!!
لا أحدَ يريدنا..
في مدن المقاولين، والمضاربين، والمستوردين،
والمصدرين، والملمِّعين جزمَةَ السلطة،
والمثقفين حسبَ المنهج الرسمي،
والمستأجَرين كي يقولوا الشِّعر..
والمقشرين اللوزَ، والتفاح للملوك
والمقدمين للأميرِ عندما يأوي إلى فراشه
قائمةً بأجملِ النساء..
والموظفين في بلاطِ الجنس..
والمهرِّجين..
المخنثين..

والمخوِّضين في دمائنا حتى الرُّكب..
لا أحدَ يقرؤنا..
في مدن المِلح التي تذبُح في العام
ملايين الكتبْ..
لا أحدَ يقرؤنا..
في مدنٍ..
صارت بها مباحثُ الدولة
عرَّاب الأدبْ..

(٦)

مسافرون نحنُ في سفينةِ الأحزان
قائدنا مُرتزق
وشيخُنا قرصانْ
مكومون داخلَ الأقفاصِ كالجرذان
لا مرفأ يقبلُنا
لا حانةَ تقبلُنا..
لا امرأةً تقبلُنا..كلُّ الجوازاتِ التي نحملُها..
أصدرها الشيطانْ

كلُّ الكتاباتِ التي نكتبها..
لا تعجبُ السلطان
مسافرون خارجَ الزمانِ والمكانْ
مسافرون ضيعوا نقودَهم..
وضيعوا متاعَهم، وضيعوا أبناءَهم..
وضيعوا أسماءَهم.. وضيعوا انتماءهم..
وضيعوا الإحساسَ بالأمانْ
فلا بنو هاشم يعرفوننا، ولا بنو قحطانْ
ولا بنو ربيعةَ، ولا بنو شيبانْ
ولا بنو (لينين) يعرفوننا.. ولا بنو (ريغانْ)

* * *

يا وطني.. كلُّ العصافيرِ لها منازلْ
إلا العصافيرُ التي تحترف الحريهْ
فهي تموت خارج الأوطانْ..

جنيف تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٥

درس في الرسم

(١)

يضع ابني علبةَ ألوانِه أمامي
ويطلب مني أن أرسمَ له عصفورًا..
أغطُ الفرشاةَ باللون الرمادي
وارسمُ له مربعًا عليه قِفلٌ.. وقضبانْ
يقول لي ابني، والدهشةُ تملأ عينيْه:
«...ولكن هذا سِجن..
ألا تعرفُ.. يا أبي كيف ترسمُ عصفورًا؟؟؟»
أقول له: يا ولدي.. لا تؤاخذني
فقد نسيتُ شكلَ العصافير..

(٢)

يضع ابني علبةَ أقلامي أمامي
ويطلب مني أن أرسمَ له بحرًا..
آخذُ قلمَ الرصاص،
وأرسم له دائرةً سوداء..
يقول لي ابني:

«ولكن هذه دائرةٌ سوداء.. يا أبي..
ألا تعرفُ أن ترسم بحرًا؟
ثم ألا تعرف أن لونَ البحرِ أزرق؟..»
أقول له: يا ولدي
كنت في زماني شاطرًا في رسمِ البحار
أما اليومَ.. فقد أخذوا مني الصِّنَّارةَ
وقارب الصيد..
ومنعوني من الحوارِ مع اللونِ الأزرق..
واصطياد سمكِ الحريهْ

(٣)

يضع ابني كراسةَ الرسم أمامي.
ويطلب مني أن أرسمَ له سنبلةَ قمحٍ..
أُمسِك القلمَ..
وأرسُم له مسدسًا..
يسخرُ ابني من جهلي في فنِّ الرسم
ويقول مستغربًا:
«ألا تعرف يا أبي الفرقَ بينَ السنبلة.. والمسدس؟»

أقول له: يا ولدي..
كنت أعرفُ في الماضي شكلَ السنبلةِ..
وشكل الرغيفِ
وشكل الوردةِ
أما في هذا الزمن المعدني الذي انضمت فيه أشجارُ الغابة
إلى رجالِ الميليشيات
وأصبحتْ فيه الوردةُ تلبس المرقَّطة..
في زمن السنابلِ المسلَّحة
والعصافيرِ المسلَّحة
والثقافة المسلَّحة
والديانة المسلَّحة
فلا رغيفَ اشتريته..
إلا وأجد في داخلِه مسدسًا
ولا وردة أقطفُها من الحقلِ..
إلا وترفع سلاحَها في وجهي
ولا كتاب اشتريته من المكتبة
إلا وينفجرُ بينَ أصابعي..

(٤)

يجلس ابني على طرفِ سريري
ويطلب مني أن اسمعَه قصيدةً
تسقط مني دمعةٌ على الوسادهْ
فيلتقطها مذهولا.. ويقول:
«ولكن هذه دمعةٌ.. يا أبي.. وليست قصيدهْ؟»
أقول له:
عندما تكبر يا ولدي..
وتقرأ ديوانَ الشعر العربي
سوف تعرف أن الكلمةَ والدمعةَ شقيقتان
وأن القصيدةَ العربيةَ..
ليست سوى دمعةٍ تخرجُ من بين الأصابعْ..

* * *

يضع ابني أقلامَه، وعلبةَ ألوانِه أمامي
ويطلب مني أن أرسمَ له وطنًا..
تهتزُّ الفرشاةُ في يدي
وأسقطُ باكيًا..

جنيف ٢٠/ ١/ ١٩٨٦

مع الوطن..

في زجاجة براندي

عندما أشتاقُ للوطن
أحمله معي إلى خمارةِ المدينة..وأضعه على الطاولة
أشربُ معه حتى الفجرِ
وأحاوره حتى الفجرِ
وأتسكعُ معه في داخِل القينة الفارغهْ
حتى الفجرِ..
وعندما يسكرُ الوطنُ في آخر الليل..
ويعترفُ لي أنه هو الآخرُ.. بلا وطن..
أُخرجُ منديلي من جيبي
وأمسحُ دموعَهْ..

كأس ١

عندما أشرب الكأسَ الأولى
أرسم الوطنَ دمعةً خضراء
وأقلعُ ثيابي..
وأستحم فيها..

كأس ٢

عندما أشربُ الكأس الثانيهْ
أرسم الوطن على شكل امرأة جميلهْ..
وأشنق نفسي بين نهديها

كأس ٣

عندما أشربُ الكأسَ الثالثهْ
أرسم الوطنَ على شكلِ سجن..
أقضي به عقوبة (الأشعارِ) الشاقة المؤبدهْ..

كأس ٤

عندما تفقد الزجاجةُ ذاكرتَها
أرسم الوطن على شكل مشنقةْ
تتدلى منها قصائدي في احتفالٍ مهيب
يحضرهُ البابُ العالي..
وكلبُه السلوقي
ومستشارُه السلوقي
ورئيسُ مصلحةِ السجونْ
ورئيسُ مصلحةِ دفنِ الموتى
ووزيرُ التعليم العالي
ورئيسُ اتحاد الكتاب
ورئيس الكهنةِ.. وقاضي القضاهْ..
وجميعُ وزراءِ الدولة الذين عُينوا بمراسيم مستعجلهْ
ليقتلوا الشاعر.. ويمشوا في جنازتهْ..

من معادلات الحرية

لو أن كل عصفور بحاجةٍ إلى تصريح
من وزير الداخليةِ..
ليطير..
ولو أن كل سمكة بحاجة إلى تأشيرة خروجٍ لتسافر..
لانقرضت الأسماكُ والعصافيْر..

حزب الحزن

إذا كان الوطنُ منفيًّا مثلي..
ويفكر بشراشفِ أمِّه البيضاء مثلي..
وبقطة البيتِ السوداءِ، مثلي..
إذا كان الوطنُ ممنوعًا من ارتكابِ الكتابة مثلي..
وارتكابِ الثقافة مثلي..
فلماذا لا يدخلُ إلى المصحةِ التي نحن فيها؟

لماذا لا يكون عضوًا في حزبِ الحزن
الذي يضم مئةَ مليون عربي؟؟.

عزف منفرد على الطبلة..

(١)

الحاكمُ يضربُ بالطبلهْ
وجميعُ وزاراتِ الإعلام تدق على ذات الطبلهْ
وجميعُ وكالاتِ الأنباءِ تضخم إيقاعَ الطبلهْ
والصحف الكبرى.. والصغرى
تعمل أيضًا راقصةً
في ملهى تملكُه الدولهْ!
لا يوجد صوتٌ في الموسيقى
أردأ من صوتِ الدولهْ!!

(٢)

الطربُ الرسمي يباعُ على العرباتْ
مثلَ السردين..
ومثلَ الخبز..

ومثلَ الشاي..
ومثلَ حبوبِ الحمل..
ومثلَ حبوبِ الضغط..
ومثلَ غبارِ السياراتْ..
الكذبُ الرسميُّ على كل الموجاتْ..
وكلامُ السلطة براق جدًّا..
كثياب الرقَّاصات..
لا أحد ينجو من وصفاتِ الحُكم،
وأدوية السُّلطة..
فثلاث ملاعقٍ قبلَ الأكل..
وثلاثُ ملاعقٍ بعدَ الأكل..
وثلاثُ ملاعق قبلَ صلاةِ الظهر..
وثلاثُ ملاعق بعدَ صلاةِ العصر..
وثلاث ملاعق قبل مراسيمِ التشييع..
وقبلَ دخول القبرْ..

هل ثَمةَ قهرٌ في التاريخ كهذا القهرْ؟
الطبلةُ تخترقُ الأعصابْ،
فيا ربي.. ألهمني الصبرْ..

(٣)

الدولةُ تُحسن تأليفَ الكلماتْ
وتجيدُ النصبَ.. تجيدُ الكسرَ.. تجيد الجَرِّ..
تجيد استعراضَ العضلاتْ..
لا يوجد شعرٌ أردأ من شعرِ الدولهِ
لا يوجد كذب أذكى من كذب الدولهِ..
صُحفٌ.. أخبارٌ.. تعليقات
خُوذٌ لامعةٌ تحتَ الشمس،
نجومٌ تبرقُ في الأكتاف،
بنادقُ كاذبةُ الطلقاتْ..
وطنٌ مشنوقٌ فوقَ حبالِ الأنتينات
وطنٌ لا يعرف من تقنية الحرب سوى الكلماتْ

وطن ما زالَ يذيُع نشيدَ النصرِ على الأموات..

(٤)

الدولةُ منذ بداية هذا القرن تعيد تقاسيمَ الطبلة..
«العدلُ أساسُ المُلك»
«الشورىَ – بينَ الناس – أساسُ الملك»
«الشعبُ – كما نص الدستورُ – أساسُ الملك»
يا ربِّ الكونِ شعبنا من ضرب الطبلة..
لا أحدَ يرقصُ بالكلمات سوى الدوله..
لا أحد يزني بالكلماتِ،
سوى الدولهْ!!
«القمع أساس الملك»
«شنق الإنسانَ أساسَ الملك»
«حكمُ البوليسِ أساسُ الملك»
«تأليه الشخصِ أساسُ الملك»
«تجديدُ البيعةِ للحكامِ أساسُ الملك»

«وضع الكلماتِ على الخازوق..
أساسُ الملك»
طبلهْ.. طبلهْ..
والسلطةُ تعرض فتنتَها
وحُلاها في سوقِ الجملهْ..
لا يوجد عُرْيٌ أقبحُ من عري الدولهْ..

(٥)

طبلهْ.. طبلهْ..
وطن عربي تجمعُه من يومِ ولادتهِ طبلهْ..
وتفرق بين قبائله طبلهْ..
أفراد الجوقة، والعلماء، وأهل الفكر،
وأهلُ الذكرِ، وقاضي البلدة..
يرتعشون على وقع الطبلة..
الطربُ الرسمي يجئ كساعات الغفلة
من كلٍّ مكان..

والطربُ النفطيُّ يحاول تسويقَ الإنسان
سعرُ البرميلِ الواحدِ أغلى من سعرِ الإنسان
الطربُ الرسمي يعاد كأغنيةِ الشيطان
وعلينا أن نهتز إذا غنَّى السلطان
ونصيحُ – أمامَ رجالِ الشرطة – آه..
آهْ.. يا آهْ..
آهْ.. يا آهْ..
طربٌ مفروضٌ بالإكراهْ
فرحٌ مفروضٌ بالإكراهْ
موتٌ مفروضٌ بالإكراهْ
آه.. يا آه..
هل صار غناءُ الحاكمِ قُدسيًّا
ككلام الله؟؟

جنيف ١٢/ ٢/ ٨٦

أحمر.. أحمر.. أحمر..

(١)

لا تفكرُ أبدًا.. فالضُّوءُ أحمرْ.
لا تكلم أحدًا.. فالضوءُ أحمرْ
لا تجادلْ في نصوصِ الفقه، أو في النحوِ، أو في الصرف،
أو في الشعرِ، أو في النثرِ،
إن العقلَ ملعونٌ، ومكروه، ومنكرْ..

(٢)

لا تغادر قُنَّك المختومَ بالشمع،
فإن الضوءَ أحمرْ..
لا تحبَّ امرأةً.. أو فأرة..
إن ضوءَ الحبِّ أحمر..
لا تضاجعْ حائطًا، أو حجرًا، أو مقعدًا..
إن ضوءَ الجنسِ أحمرْ..

إبق سِريًّا.. ولا تكشفْ قراراتِك حتى لذبابة..
ابق أميًّا.. ولا تدخلْ شريكًا في الزنا أو في الكتابةْ..
فالزنا في عصرنا أهون من جُرم الكتابةْ..

(٣)

لا تفكرْ بعصافيرِ الوطنْ
وبأشجارِ، وأنهارِ، وأخبارِ الوطن
لا تفكر بالذين اغتصبوا شمسَ الوطنْ
إن سيفَ القمع يأتيك صباحًا
في عناوينِ الجريدهْ..
وتفاعيل القصيدهْ..
وبقايا قهوتِك
لا تنم بين ذراعيْ زوجتِك
إن زوارَك عندَ الفجر
موجودون تحتَ الكنبهْ..

(٤)

لا تطالع في النقدِ أو في الفلسفهْ..
إن زوارَك عندَ الفجرِ،
مزروعون، مثلَ السوسِ، في كلِّ رفوف المكتبهْ
ابقَ في برميلِك المملوءِ نملاً.. وبعوضًا.. وقمامهْ
ابق من رجليك مشنوقًا إلى يوم القيامهْ
ابق من صوتك مشنوقًا إلى يوم القيامهْ
ابق من عقلِك مشنوقًا إلى يوم القيامهْ
إبق في البرميلِ حتى لا تُرَى
وجه هذه الأمة المغتصبَهْ..

(٥)

أنت لو حاولتَ أن تذهبَ للسلطان،
أو زوجِته، أو صهرِه المسئول عن أمِن البلاد
والذي يأكل أسماكًا.. وتفاحًا،، وأطفالاً..
كما يأكلُ من لحمِ العباد..

لوجدت الضوءَ أحمرْ..

(٦)

أنت لو حاولتْ أن تقرأ يومًا..
نشرةَ الطقسِ، وأسماءَ الوفياتِ، وأخبارَ الجرائمْ..
لوجدتَ الضوَء أحمر..
أنت لو حاولت أن تسألَ عن سِعر دواءِ الربو..
أو أحذيةِ الأطفالِ.. أو سعرِ الطماطم..
لوجدت الضوءَ أحمر..
أنت لو حاولت أنِ تقرأَ يومًا صفحةَ الأبراج..
كي تعرفَ ما حظُّك قبلَ النفط، أو حظُّك بعدَ النفط..
أو تعرف ما رقمَك ما بين طوابيرِ البهائمْ..
لوجدت الضوءَ أحمر..

(٧)

أنت لو حاولت أن تبحثَ عن بيتٍ من الكرتون يأويك..
أو سيدةٍ – من بقايا الحرب – ترضى أن تُسلِّيك..

وعن نهدين معطوبين.. أو ثلاجةٍ مستعملهْ..
لو جدت الضوءَ أحمر..
أنت لو حاولت أن تسأل أستاذَك في الصف.. لماذا؟
يتسلى عربُ اليومِ بأخبار الهزائمْ؟
ولماذا عربُ اليومِ زجاجٌ فوقَ بعضٍ يتكسَّرْ؟
لو جدتَ الضوءَ أحمر..

(٨)

لا تسافر بجوارٍ عربي..
لا تسافر مرةً أخرى لأوروبا..
فأوروبا – كما تعلمُ – ضاقت بجميع السفهاء
أيها المنبوذُ، والمشبوه، والمطرودُ من كلِّ الخرائط
أيها الديكُ الطعينُ الكبرياء..
أيها المقتولُ من غير قتالٍ..
أيها المذبوح من غير دماءْ
لا تسافرْ لبلادِ الله.. إن الله لا يرضَى لقاءَ الجبناءْ..

(٩)

لا تسافرْ بجوازٍ عربيٍ..
وانتظر كالجرذ في كلِّ المطارات.. فإن الضوءَ أحمر..
لا تقلْ باللغةِ الفصحى: أنا مروانُ، أو عدنانْ..
أو سبحانْ..
للبائعةِ الشقراءِ في (هارودز)
إن الاسمَ لا يعني لها شيئًا..
وتاريخُك - يا مولايَ - تاريخ مزوَّرْ..

(١٠)

لا تفاخرْ ببطولاتِك في (الليدو)..
فسوزانُ.. وجانينُ.. وكوليتْ..
وآلاف الفرنسياتِ لم يقرأن يومًا
قصةَ الزيرِ وعنترْ!!
أنت تبدو مضحكًا في ليلِ باريس..
فعد فورًا إلى الفندقِ.. إن الضوءَ أحمر..

(١١)

لا تسافرْ بجواز عربي.. بينَ أحياءَ العرب
فهم من أجلِ قرش يقتلونَك..
وهم – حين يجوعون مساء – يأكلونك
لا تكن ضيفًا على حاتم طي
فهو كذابٌ .. ونصاب..
فلا تخدعُك آلاف الجواري..
وصناديقُ الذهبْ..

(١٢)

يا صديقي..
لا تَسِرْ وحدَك ليلاً..
بين أنيابِ العربْ..
أنت في بيتِك محدودُ الإقامهْ..
أنت في قومِك مجهولُ النسبْ..
يا صديقي..
رحمَ اللهُ العربْ!!!